بأقلامهم

بقلم
حسن علوش*

الوقت لرجال دولة

لم يعد امام اللبنانيين متسع من الوقت، انه وقت رجال الدولة.
لا اهمية في ان يكون الاختلاف بين رؤى المجموعات السياسية اللبنانية كبيرا او صغيرا، او ان تكون التباينات بسيطة او بلغت حد التناقض، اذا ما انتظمنا في دولة وقاد الحكم رجال دولة.
الدولة الحديثة، هي دولة قانون ومؤسسات، ولا يتناقض ذلك مع وجود احزاب لديها رؤى وبرامج واهداف سياسية، لا احزاب تعتاش على جسم النظام الطائفي، وعلاقتها الوجودية مرتبطة ببقاء نظام استنفد دوره بالكامل.
ان من يقود مثل هذه الدولة هم رجال دولة، ورجل الدولة هو الذي "يملك معرفة تؤهله للحكم ولادارة القوة السياسية في شكل يحقق العدل ويضع مصلحة المواطنين في الاعتبار. هو من يعرف انه يعمل لغيره لا لنفسه، ويعي الحقوق التي يجب ان يؤديها لغيره والواجبات التي عليه ان يتحملها. هو ايضا من يعرف المظالم التي يكابدها الناس والانقسامات التي تفرقهم حتى يصححها فيقيم العدل ويحقق الانصاف، كما عرفتها شخصية افلاطون الافتراضية زينون".
مرّ على الحكم في لبنان رجال دولة، من خارج احزاب النظام الطائفي، وتركوا بصمات وطنية مهمة في بناء الدولة، منهم فؤاد شهاب رائد المأسسة والقائل في خطاب القسم في العام 1958 "... ولا بد من ان يطمئن المواطن الى تجرد الحاكم، وعدل القاضي، وامانة الموظف". ومنهم سليم الحص الذي بقي قويا لانه "لم يطلب شيئا لنفسه" طوال فترة تسلمه مهماته الدستورية، ومنهم ايضا الرئيس رفيق الحريري الذي، وان كنت تختلف معه في شأن مشروعه الاقتصادي والانمائي، الا انه في الازمات الوطنية تصرف كرجل دولة، فهو لم يتبن خطابا يعزز الانقسامات بين اللبنانيين ورفض ان يكون طرفا بين مجموعاتهم المنقسمة على بعضها البعض عشية اغتياله المشؤوم.
تذكر الكتابات التاريخية عن آخر رؤساء الجمهورية الرابعة الفرنسية، رينيه كوتي، ان احد وزرائه ذكر امامه اسم زعيم سياسي بارز في فرنسا، فاستخف كوتي به وقال: "اه... انه ليس سوى رجل عادي بسيط من رجال السياسة". سأله الوزير: "لكن حضرة الرئيس ما الفرق بين السياسي ورجل الدولة؟"، فاجابه: "الفرق بسيط جدا. رجل الدولة يريد ان يعمل شيئا من اجل بلاده، والرجل السياسي يريد من بلاده ان تفعل شيئا من اجله" (او من اجل مجموعته السياسية)!.
في حادثة اخرى تروى عن الرئيس الفرنسي فنسان اوريول المعروف بتعلّقه بسباقات الخيل، انه بعد تسلمه منصبه، حالت مسؤولياته الرسمية دون مواصلة ذلك الشغف بالخيول وسباقاتها. لكن سنحت له الفرصة لحضور السباق المهم المعروف بين الفرنسيين بسباق "الجائزة الكبرى" الذي جرى تحت رعايته كرئيس للجمهورية.
عندما حان الوقت ليقدم الجائزة الى الفائز، سأله احد زملائه من "رجال الدولة": "كم كسبت يا سيدي الرئيس في هذه الجولة؟"، فرد عليه اوريول بشيء من الاسى: "لا شيء. يا ليت. لكنني رئيس الجمهورية. وبصفتي رئيسا للجمهورية، يجب ان اكون فوق الاحزاب وايضا ان اكون فوق المراهنات".
ما يحتاجه لبنان اليوم، هو عودة الى فكرة الحوار الوطني وهذا لا يصنعه الا رجال دولة، فلا مؤتمر دوليا ولا وساطات عربية ودولية سيكتب لها النجاح اذا ما كانت ارضية الداخل اللبناني غير جاهزة لمثل هذه المبادرات.
حري بأهل السياسة والمرجعيات الروحية ان تتبنى خطابات رجال الدولة. فالحوار الهادئ والخطاب المبني على الاعتراف بالاخر وتفهم هواجسه، هما مدخلان لأي حل نسعى اليه بصدق. وفي طبيعة الحال، لن يكون ثمة حوار قبل تشكيل حكومة تضع امامها الحوار الوطني اولوية، بعد ان توقف حال الانهيار الاقتصادي والمعيشي الشامل.
فهل في لبنان رجال دولة؟

---

* صحافي

ضيف العدد

بقلم الدكتور
غالب ابوزين*

الإنتماء أولاً

قيل الكثير في لبنان الكبير الذي نشأ في العام 1920، تارة دولة صنيعة الاستعمار لسلخه عن محيطه العربي، وطورا بأنه تقاسم نفوذ عالمي في مؤتمر سايكس - بيكو. قيل بأنه الوطن الرسالة وصلة الوصل بين الشرق والغرب، وقيل انه وطن بني على اوهام اقتصادية وسياسية وثقافية افضت الى ما وصلنا اليه.
من جملة ما قيل: لبنان الحالي تكوّن كارض قبل ان يتكوّن كشعب، فنقول ان جبل لبنان الذي امتد من جبة بشري حتى اقليم التفاح، كان سكانه من مختلف الطوائف والاقليات، وبعد ضم الاقضية الاربعة جنوبا وشمالا وبقاعا وسناجق طرابلس وصيدا وبيروت، لم يكن السكان الجدد طارئين او نسيجاً جديداً في الدولة الناشئة. لكن غياب التنمية وتراجع الاقتصاد المنتج والشعور بعدم المساواة والتدخل الخارجي، فاقم من ضعف السلطة، وغذى الشعور الطائفي، لذلك تقوى سلطة الطوائف ويتحول الولاء الوطني الى ولاء طائفي.
ان الاديان السماوية تدعو الى المحبة والرحمة والتآخي بين بني البشر، والفلسفات الوضعية جميعها تبحث عن سعادة الفرد والمجتمع. لذا نشأت مفاهيم حقوق الانسان والعدالة الاجتماعية من اجل حفظ كرامة الفرد وحقه بالحياة الكريمة الامنة مع اتاحة الفرص للتفتح واثبات الذات الانسانية في مسار عطائها وتقدمها وتطورها.
انطلاقا مما تقدم نتساءل: لماذا نعيش في لبنان حالة من التشرذم والانقسام والصراع؟
لماذا لم نستطع بعد ان نبني دولة ووطنا بكل ما للكلمة من معنى؟ الدولة عبارة عن اقليم جغرافي وشعب يقطن في هذه الارض ويمارس سيادته من دون منازع، في ظل اعتراف من المجتمع الدولي. اما مفهوم الوطن فيتخطى مفهوم الدولة، لانه يشمل الاماني والامال المشتركة والمصير الواحد للشعب. ما يجمعنا بالوطن هو علاقة روحية، لا حاجة بحتة لمرتع او ملجأ نستسيغ العيش فيه وقت الراحة ونتركه وقت الشدة. الوطن ارث، هو قطعة من قلب جدك وابيك، وهو ما تفخر بأنك ستتركه لاولادك اكثر منعة وكبرا، الوطن هو ان تعيش عزيزا كريما فيه في ظل تكريس فعلي لنظرية الحق والواجب. فالدولة سلطات ومؤسسات بينما الوطن روح وانتماء.
صحيح ان ظروف الزمان والمكان تحكم حركية الدول والمجتمعات والافراد، لكن العقل والارادة هي الضابط.
فها هي سويسرا بشعب ينتمي الى ثلاث قوميات متناحرة عبر التاريخ وبثلاث لغات مختلفة ايقنت ان الحروب والتشرذم لا تولّد الا الاحقاد والتخلف وهذا هلاك للجميع ولن يخرج منه رابح، لذلك استطاعوا ان يبتدعوا حلا ويجترحوا من رحم المعاناة صيغة تنهي الخصومات والنزاعات وتؤسس لدولة حضارية متقدمة راقية. فالتنوع غنى والاختلاف في الرأي ليس بالضرورة ان يؤدي الى العدائية، بل لا بد من تسوية.
وبالتالي، الحوار الواعي بكل تجرد وترفع وتعال عن كل ما يباعد ويفرق، وعلى قاعدة احترام الاخر بعيدا من روحية الاستئثار والهيمنة والالغاء والابتعاد من الانانيات الفئوية والطائفية والمناطقية، كل ذلك من شأنه ان يؤسس لايجاد مساحات ايجابية مشتركة يبنى عليها... تلك هي مسؤولية النخب المثقفة والواعية من كل الطوائف والاحزاب والجمعيات والخ...
فهل لنا نحن في لبنان ان نؤسس لثقافة وطنية مشتركة؟ ثقافة تعزز الانتماء الوطني، تقوم على محبة الاخر واحترامه كانسان.. ككائن بشري.. بعيدا من اسمه ودينه ومذهبه وجنسه ومنطقته وانتمائه السياسي او الفكري.
هذا مسار طويل، لكن انّى له ان يبدأ.
الفقر والبطالة والهجرة والانهيار على كل المستويات. هذا الفرد اللبناني المبدع والخلاق، اذا ما خلصت النيات واتيحت الفرص، يستطيع ان يعيد الى هذا الوطن الصورة الحقيقية التي نحلم بها جميعا.
انها مسألة قرار: اي لبنان نريد؟
كيف خرجت اليابان بعد حربين كونيتين مدمرتين، (في العام 1956 كان متوسط دخل الفرد في لبنان يعادل متوسط دخل الفرد في اليابان)، اين نحن الان من هذه المقارنة؟ كيف استطاعت ماليزيا وسنغافورة ان تصلا الى ما وصلتا اليه؟ وماذا ينقصنا نحن سوى التضامن والتجرد وحسن النيات والاقدام بارادة وتصميم؟

---

* دكتور في القانون العام في الجامعة اللبنانية